

دراسات الأدب المعاصر، السنة الحادية عشرة، خريف ١٣٩٨، العدد الثالث والأربعون: صص ٩-٣٥

## دراسة رواية «شيكاجو» لعلاء الأسواني على ضوء نظرية الواقعية العظيمة لجورج لوكاتش<sup>١</sup>

محمود رضا توكلى محمدى\*

تاريخ الوصول: ٩٨/٢/١٦

محمدعلى آذرشب\*\*

تاريخ القبول: ٩٨/٦/٢١

### الملخص

وفق نظرية جورج لوكاتش، فى علمية البحث الأدبى يجب ألا ينظر إلى الأدب من منظور الأدبية فحسب، بل على الناقد أن يتفرد الأثر الأدبى لى يجد فيه صلةً بين الأديب وبين مجتمعه. تقوم نظرية لوكاتش على نقد الشكل والمضمون وطرح لها عدة معايير هى: المضمون الإجماعى، النموذج، الواقعية وعلاقة العلة والمعلول. فى هذا الصدد سمى لوكاتش الواقعية فى نظريته بالواقعية العظيمة وطرح لها عدة سمات منها الواقعية الحقيقية أو انتصار الواقعية والواقعية النقدية وشعبية الأدب. حاول هذا المقال وعلى ضوء المنهج الوصفى - التحليلى أن يدرس رواية «شيكاجو» لعلاء الأسوانى، الكاتب المصرى المعاصر، فى إطار نظرية الواقعية العظيمة لجورج لوكاتش ويبحث عن مدى نجاح الواقعية فى الرواية المذكورة. فبدل مجمل نتائج البحث على أن الأسوانى استطاع أن يدرس بعض القضايا الإجماعية المرتبطة بالمتقنين المصريين خارج الحدود المصرية كما حاول أن يدرس المجتمع الأمريكى ولكنه أدخل فى دراسته آرائه الفردية وابدؤولوجيته وفى بعض آرائه الإجماعية إبتعد عما طرحه لوكاتش فى واقعيته العظيمة.

**الكلمات الدليلية:** النقد الإجماعى، جورج لوكاتش، الواقعية العظيمة، علاء الأسوانى، شيكاجو.

<sup>١</sup> كتب هذا المقال بالدعم المادى والمعنوى الذى قدمه منظمة "بنياد ملى نخيگان" للكاتبين واستخرج المقال من بحث أنجزه الكاتبان لهذه المنظمة.

dr.mrtavakoly@yahoo.com

\* باحث مرحلة ما بعد الدكتوراه، جامعة طهران.

Dr.azarshab@gmail.com

\*\* أستاذ، جامعة طهران.

الكاتب المسؤل: محمود رضا توكلى محمدى

## المقدمة

يعدّ النقد الاجتماعي للأدب من المناهج الجديدة التي وُلد ونشأ تحت ظلّ صلة الأدب بالنظريات الاجتماعية المعاصرة عامة والماركسية خاصة، وهو منهج يجمع بين الأدب والمجتمع في مختلف السطوح والمستويات محاولاً رفع الستار عن العلاقة الثنائية بينهما. فالناقد الاجتماعي يصبّ إهتمامه في فهم هذه العلاقة بين المجتمع والأدب ويحاول توضيحها وكشف الستار عن غوامضها وما يدور حولها. «ترجع الإرهاصات الأولى للنقد الاجتماعي في نظريات طائفة من النقاد منهم مادام دوستال (١٨١٧-١٧٦٦) وهيولييت تن (١٨٩٣-١٨٢٨) وجماعة من الفلاسفة خاصة كارل ماركس (١٨٨٣-١٨١٨) وفردريك نجلس (١٨٩٥-١٨٢٠) وبعده اليوم إحدى طرق النقد الأدبي» (كوثرى، ١٣٧٩: ١٦).

مع أنّ الأديب يكتب عما يجيش في صدره وفي بعض الأحيان يدخل ايدئولييجيته وآرائه الفردية في آثاره الأدبية ولكنه وعلى كل حال يُعدُّ كل أديب ابناً لمجتمعه ولبئته التي تعيش فيه، وتؤثر البيئة في أدبيته وآثاره كما تؤثر آثاره الأبية في المجتمع وتنزيل الستار عن هذه الارتباط هو الأمر الذي يسعى النقد الاجتماعي وراءه على الإجمال. فحينما يطرح الناقد الاجتماعي سؤالاً عن العلاقة الوثيقة بين الأدب والمجتمع أو يتحدث عن هذه العلاقة، هو في الواقع ولج الحقل الاجتماعي للأدب. «الاجتماعية التي وردت في مجال العلاقات القائمة بين الأدب والمجتمع منذ نشأتها إلى تطورها تقوم بشرح أهم النظريات والمفاهيم فيها إضافة إلى عرض تاريخي موجز وتحديد نسبي لبعض المناهج الأدبية التي تتصل بالمجتمع والقضايا الاجتماعية بنوع ما مع أن التوصل إلى تحديد نهائي للمفاهيم النظرية في حقل العلوم الإنسانية أمر صعب وقد يكون مستحيلاً إذ إنها مبنية على مبدأ تعددية المعاني» (أبوشقراء، لاتا: ٣٩).

يتفق معظم الباحثين على أنّ الإرهاصات الأولى للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب ونقده بدأت منهجياً منذ أن أصدرت الكاتبة والروائية الفرنسية مادام دوستال (١٨١٧-١٧٦٦) كتابها «الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية» عام ١٨٠٠م و«عن ألمانيا» عام ١٨١٣م، تتحدث فيه عن دور عامل الهوية القومية وعلاقته بالوسط الاجتماعي وتأثيراتهما في الإبداع والذوق الفني والقول الأدبي. فقد تبين أنّ مبدأ الأدب تعبير عن المجتمع (هويدي، ١٤٢٦: ٩٤). تقول مادام دوستال بوجود العلاقة بين الأدب وبعض المنظمات

والعقود الإجتماعية كالدين والسياسة والإقتصاد والثقافات الشعبية والدستورات الإجتماعية وما شابه ذلك فى كتابه الشهير «الأدب فى علاقته بالمؤسسات الإجتماعية»، «غير أن مادام دوستال ظلت بعيدة عن مفهوم "سوسولوجيا الأدب" بالمعنى العلمى الحديث إذ قصرت همّها فى كتابها هذا كما حددتها هى نفسها، فى خطابها التمهيدى: البحث فى مدى تأثير الدين والعادات والقوانين فى الأدب ومدى تأثير الأدب فى الدين والعادات والقوانين» (اسكاربيت، ١٩٩٩: ٧).

بعد مادام دوستال ظهر تن (١٨٩٣-١٨٢٨) الذى حاول أن يخضع الأدب للنظرية العلمية، وعدّ الأدب انعكاساً عما سيطر على المجتمع من الآداب والأخلاقيات وكيفية تعامل الناس بعضاً مع البعض فيه. «اعتقد تن بأن العمل الأدبى وليد تعامل ثلاثة عناصر متفقة وهى البيئة والثقافة والتاريخ. يتمظهرُ البيئةُ فى الجنس أو العرق، والثقافة فى المجتمع، والتاريخ فى الزمن» (علايى، ١٣٨٠: ٢٣). ولكن الإشكالية فى نظرية تن ترجع إلى ماهية العلوم والنظريات العلمية من جهة والطابع الإيحائى للآثار الأدبية من جهة أخرى. فالطابع العلمى تخضع تماماً للقياس والتحليل والإكتشاف؛ أما فيما يرتبط بالآثار الأدبية، مع أنه يمكن فى بعض الأحيان أن تخضع لمثل هذه الأمور، فلا يمكن أن نغفل عن الطابع الفردى والشخصى والإحساسى لهذه الآثار؛ «فالعلم تعميم والفن تخصيص. العلم يلاحظ الأشباه والنظائر ليستخلص منها أوجه الشبه فيصوغها فى قانون واحد ينظمها، والفن يلاحظ جزئية واحدة يقف عندها ويحلّل خصائصها» (نجيب محمود، ١٩٦٧: ٨٩).

بعد ظهور العقائد الماركسية فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى وانتشارها الواسع فى الأوساط الأروبية، هيمنت تلك العقائد سيطرته على القسم الأعظم من النظريات الإجتماعية آنذاك. «اعتقد ماركس بأن الإقتصاد يعدّ بنية تحتية وظيفته إنشاء السياسة والحكومة والدستور والفن والأدب» (عسكرى، ١٣٨٦: ٤٧)، فاعتقد النقد الماركسى بوجود علاقة واضحة بين الإقتصاد (البنية التحتية) والأدب (البنية الفوقية). «كان للمفكر المادى الماركسى تأثير عظيم فى تطور المنهج الأجماعى وإكسابه إطاراً منهجياً وشكلاً فكرياً ناضجاً» (منتظرى، ١٣٩١: ١٦٣). فعلى اعتقاد رواد هذا النقد، إن المهم فى نقد النصوص الأدبية تقييم ارتباط هذه النصوص مع الأحداث الإجتماعية والإقتصادية وانعكاس هذه

الأحداث وكيفية في تلك النصوص. فعلى هذا المعيار، النصوص الأدبية العظيمة التي ما تطرقت إلى مثل هذه الموضوعات تدرج في الدرجة الثانية من الأصالة والاعتبار. «فسوسولوجيا الأدب ليست أرقاماً وإحصاءات فحسب، تتناول الطبعة الاجتماعية التي ينشأ فيها المؤلفون أو ميولهم الفكرية وعدد النسخ التي يطبع منها كتاب... بل إنها تتناول- ويجب أن تتناول إلى جانب هذه الأمور- المقومات النفسية للأديب، التي ترتبط إرتباطاً جذرياً بمقوماته العرقية والظروف الزمانية والمكانية للبيئة التي نشأ فيها وترعرع والبيئة العائلية والوسط الاجتماعي» (اسكاربيت، ١٩٩٩: ١٠). بعد هذه النقاد الذين يعدّ نظرياتهم النقدية وإنتاجاتهم العلمية الإرهاصات الأولى للنقد الاجتماعي، ظهر ناقدان بارزان يلمع نجمهما في سماء النقد الاجتماعي، فحاولا أن يأتيا بجديد في هذا الميدان، فتقدم النقد الاجتماعي تحت ظل نظريتهما خطوة بل خطوات إلى الأمام، ألا وهما جورج لوكاتش وتلميذه لوسين جلدمن.

### جورج لوكاتش والنقد الاجتماعي

بنى لوكاتش نظريته في النقد الاجتماعي - خلافاً لرواد النقد الماركسي - على أساس الشكل والمضمون وطرح لها عدة معايير هي المضمون الاجتماعي، النموذج، الواقعية وعلاقة العلة والمعلول. فأحدى مقومات نظريته هي الواقعية وطرح لها ثلاث مقومات هي الواقعية الحقيقية أو انتصار الواقعية والواقعية النقدية وشعبية أو أناسية الواقعية. «المدرسة الواقعية تعدّ إطاراً فنياً محدداً لها أفضل صلة وأبرز اتصال مع المناسبات الاجتماعية» (مهرگان، ١٣٨٨: ٦٠). اعتقد لوكاتش أن الإنسان يشكل كياناً واحداً مع المجتمع وعلى الناقد الاجتماعي أن يدرس هذا الكيان برمته وبغض النظر عن دراسة الإنسان منعزلاً عن المجتمع أو العكس. «هناك من يحاول تحديد ماهية الأدب من خلال ربطه بغيره من الظواهر... وخلافاً لكل ما تقدم، ثمة من يرى أن الأدب شكل جمالي خالص أو عمل فني بحت، أو نظام من الرموز والدلالات التي تولد في النص وتعيش فيه ولا صلة لها بخارج النص، وعلى عكس هؤلاء يرى الآخرون أن الأدب تعبير بالكلمة عن موقف الأديب من العالم أو أنه أداة تعبير طبقية أو أنه صياغة لتجربة إنسانية عميقة أو أنه استخدام خاص للغة لتحقيق هدف ما» (الماضي، ١٩٨٦: ١١). طرح لوكاتش لنظريته الاجتماعية في النقد

الأدبي بعض السمات أو الدعائم ووضح كلا منها على حدة. هذا الأمر سبب أن يسمى النقاد هذه النظرية النقدية بالواقعية الإجتماعية أو الواقعية العظيمة. كما مر بنا طرح لوكاتش للواقعية في نظريته هذه، سمات هامة وهي انتصار الواقعية، الواقعية النقدية وأناسية الأدب أو تعايش الأدب مع الناس (راجع: أفضلى: ١٣٩٥: ٦١ وبعد) ففي السمة الأولى وهي انتصار الواقعية يرى لوكاتش أنه على الأديب أن يتطلع في أدبه إلى أفق الواقعية ويخطو على منواله دون أن يتخطى عنه أو يعدل منه. بعبارة أخرى، حين دراسة عمل الأديب علينا أن نجد هيمنة الواقعية على أفكار الأديب وعقائده وايدئولوجيته. «على الكاتب أن يكتب عما يدور حوله من الحوادث الإجتماعية بشجاعة تامة وبعيداً عن أي ارتباط شخصي يربطه بقضية معينة محبباً أو مبغضاً» (لوكاتش، ١٣٨٤: ١٦٩).

في الموضوع الثاني يعنى الواقعية الإنتقادية يرى لوكاتش أنه على الكاتب أن يزيل الستار في أثره عن التشوهات والشذوذ الإجتماعية محاولاً إيقاظ الناس لأجل تعرفهم على ما يجرى حولهم واتخاذ قرار معين أمامه (راجع: نفس المصدر: ٢٥٨ وبعد). فهو في جميع آثاره يعتقد بأن الواقعية الحقيقية هي الواقعية الإنتقادية التي استطاعت أن تطرح جميع الأيدئولوجيات والعقائد الشخصية جانبا وأن تسير في طريق الواقعية الحققة. فالأديب الواقعي الحقيقي في نظرية لوكاتش لا يطبق الواقعية على ايدئولوجيته، وإذا ما أجبر الأديب أن يختار أعز ايدئولوجياته أو الواقعية وسيره الطبيعي في أثره الأدبي، فيختار الثاني على الأول (راجع: لوكاتش، ١٣٧٣: ١٧٨). أما في أناسية الأدب أو تعايش الأدب مع الناس فيرى لوكاتش أنه في الواقعية الإجتماعية أو الواقعية العظيمة على الأدب أن «يتكلم عن المسائل الأصلية والمحورية في أعلى درجة ممكنة وأن يمهد الطريق لولوج أعمق جذور الأحاسيس والأفكار والأوجاع الإنسانية لأجل توضيحها من جهة واصلاحها من جهة أخرى» (المصدر نفسه: ٢٦٣).

فكل ناقد أراد أن ينقد عملاً أدبياً وفق نظرية لوكاتش الإجتماعية، عليه أن يضع هذه السمات الثلاثة أمام عينيه وأن يطبقه على العمل الأدبي المطلوب لكي يرى كيفية انطباقه مع النظرية. مع وجود بعض الإشكاليات في هذه النظرية ومع الجدل الذي أثارته نظرية لوكاتش في الأوساط العلمية، مع كل هذا، يعدُّ الواقعية العظيمة جنباً إلى جنب نظرية النقد التكويني الإجتماعي للوسين جلدمن، من أفضل النظريات الإجتماعية التي

طُرحتْ في ساحة النقد الإجماعي للأدب. فهذا المقال يريد تطبيق هذه النظرية على رواية «شيكاجو» لعلاء الأسواني محاولاً إزالة الستار عن مدى ظهور الواقعية العظيمة وفعاليتها في هذه الرواية.

### خلفية البحث

كتب أبحاث ومقالات ودراسات متعددة حول النقد الإجماعي والواقعية الإجتماعية؛ منها: كتاب «علم إجماع الأدب مناهج وتطبيقات» للكاتب إبراهيم فضل الله وكتاب «اتجاهات نظرية في علم الإجماع» لعبدالباسط عبدالمعطي و«الأدب للشعب» لسلامة موسى. أما بالنسبة إلى المقالات والبحوث الأكاديمية والجامعية فيمكننا أن نشير إلى البحوث التالية:

مقالة «نقد رمان عمارت يعقوبيان بر اساس رئاليسم در نظريه جامعه شناختي جورج لوكاج» فصلية نقد ادب معاصر عربي، رقم ١٢. حاولت أفضلي أن تأتي بدراسة نقدية إجتماعية لرواية عمارة يعقوبيان على أساس المنهج النقدي الواقعي لجورج لوكاتش. مقالة «درآمدی بر جامعه شناسی هنر و ادبیات» نعمت الله فاضلي، مجلة فصلنامه علوم اجتماعي، رقم ٧. حاول الكاتب أن يأتي ببعض التوضيحات حول النقد الإجماعي في ساحتي الفن والأدب. فهذه المقالة تطرق إلى الإرهاصات الأولى في النقد الإجماعي وما يرتبط به من الأبحاث المطروحة حوله.

مقالة «نقد جامعه شناختي رمان های سه گانه أحلام مستغانمي» للكاتبة عزت ملا/براهيمي، مجلة فرهنگ و هنر، الرقم الثالث. نقدت الكاتبة في هذه المقالة الروايات الثلاثة لأحلام مستغانمي على ضوء منهج النقد الإجماعي ولكن ومع عشورنا على مثل هذه البحوث القيمة، عدم كتابة بحث حول النقد الواقعي لرواية «شيكاجو» على أساس منهج النقد الإجماعي من جهة ووجود خصائص كثيرة في هذه الرواية التي مهّدت السبيل لنقد الرواية على أساس هذا المنهج من جهة ثانية هو السبب والعامل الرئيس لكتابة هذا البحث. ففي هذا الصدد، يحاول المقال أن يحلل رواية «شيكاجو» لعلاء الأسواني وفق المنهج الواقعي في النقد الإجماعي الذي دعا إليه جورج لوكاتش محاولاً الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما هي العوامل التي مهدت الطريق لنقد رواية «شيكاجو» على أساس المنهج الإجماعى؟
٢. كيف تعامل الأسوانى مع الأحداث الإجتماعية فى روايته؟
٣. أيمكن أن نعد هذه الرواية رواية إجتماعية ناجحة على ضوء نظرية الواقعية؟

### حياة علاء الأسوانى

الكاتب والروائى والأديب المصرى علاء الأسوانى ولد سنة ١٩٥٧ الميلادى فى مصر. كان والده عباس الأسوانى روائياً محامياً وأخذ العلاء مقدرته الأدبية منه. هو طبيب أسنان، أتمّ دراسته الثانوية فى مدرسة الليسية الفرنسية بمصر، حصل على البكالوريوس من كلية طب الفم فى جامعة القاهرة واستطاع أن يحصل على المجستير فى طب الأسنان من جامعة إلينوى فى شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية.

يتحدث الأسوانى أربع لغات وهى العربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية. من آثاره يمكن الإشارة إلى روايات «أوراق عصام عبد العاطى»، «عمارة يعقوبيان»، «نيران صديقة»، «شيكاجو» و«نادى السيارات». ومن قصصه القصيرة «الذى اقترب ورأى»، «جمعية منتظرى الرئيس» و«نيران صديقة» وكذلك كتب بعض الكتب فى الموضوعات الإجتماعية منها «حادث مؤسف لضابط أمن الدولة»، «لماذا لا يثور المصريون؟»، «هل نستحق الديمقراطية؟».

حصل على عدة جوائز أدبية وما زال يديم كتاباته الأدبية والإجتماعية. من الجوائز التى حصل عليها الأسوانى يمكن الإشارة إلى جائزة باشرحيل للرواية العربية (٢٠٠٥). الجائزة الكبرى للرواية... مهرجان تولون فرنسا (٢٠٠٦) وجائزة فردريش روكرت ألمانيا. هو أول أديب يحصل فى العالم عليها حيث أنها تنظم للمرة الأولى (٢٠٠٨). أول مصرى يحصل على جائزة برونوكرايسكى التى فاز بها المناضل الأفريقى نلسون مانديلا وتلاه الناشط الفلسطينى الراحل فيصل الحسينى. تم اختياره بواسطة جريدة التايمز البريطانية كواحد من أهم خمسين روائياً فى العالم تمت ترجمة أعمالهم إلى اللغة الإنجليزية خلال خمسين عام الماضية. تم اختياره كأبرز شخصية أدبية فى العالم العربى فى استطلاع قناة العربية عام ٢٠٠٧ (<https://m.marefa.org>) علاء الأسوانى. ويكى بديا العربى).

## ملخص الرواية

حاول *الأسوانى* أن يتكلم فى الرواية عن الجيل المثقف المصرى الذى ترك مصر لتحصيل الأدب والثقافة والعلم خارج حدود بلده. فللرواية مضمون اجتماعى بحث أراد *الأسوانى* أن يتطرق من خلاله إلى تقابل الأجيال والأفكار والثقافات المختلفة ووجهات النظر المتباينة بين المصريين.

الرواية تتشكل من ثلاثة قصص متشابكة يربط بعضها ببعض الأشخاص والأماكن والأحداث المشتركة، ولكن سرد الحوادث فى إحدى هذه القصص يتم عن طريق خطاب المتكلم (يعنى أن يحكى الرواى روايته بأسلوب ضمير المتكلم) ومع قلم مختلف مع بقية الرواية وبلون أسود وبطل الرواية يعنى ناجى عبدالصمد/ *علاء الأسوانى* هو الذى يسرد الوقائع والأحداث وفى القصتين التاليتين عن طريق رواية الشخص الثالث/ الراوى العالم بكل شىء ومن زاوية العلم بالأشياء فيخيل إلى القارئ بأن ناجى عبدالصمد هو *الأسوانى* وهو الذى يسرد الرواية لنا.

إن *ناجى* فى الرواية هو الطالب المعترض الذى منعتة الحكومة المصرية من مواصلة دراسته فى مصر بسبب المواقف المعادية التى اتخذها حيال ما يسميه ناجى بتعسف الدولة المصرية ورئيسها حسنى مبارك. فلابد له من أن يرحل مصر، فبعد نيله الجائزة الدراسية من جامعة إلينوى فى شيكاغو، يرحل من مصر إلى أمريكا؛ ولكنه يواجه فى هذا البلد وفى مدينة شيكاغو أيضا مشاكل عديدة وفى نهاية المطاف يختطف ناجى من جانب المنظمات الأمنية فى أمريكا وفى عملية سرية مشتركة مع البوليس المصرى ويواجه عاقبة غير معلومة وبالأحرى مؤلمة وماهذا إلا بسبب موقفه العدائى حيال الدولة المصرية من جهة والعلاقات الودية بين المنظمات الأمنية المصرية والأمريكية من جهة أخرى.

أحمد دنانة هو الشخصية التى يمكننا أن نسميها بالشخصية العكسية لناجى عبدالصمد. هو طالب جامعى بلا مواهب ولكنه فى ارتباط وثيق مع المنظمات الأمنية المصرية وهذه الصلة أعطته فرصة الحضور فى أمريكا، فأحمد دنانة يعد رمزاً للذين يحاولون الوصول إلى ما يريدونه بأسباب غير شرعية، الذين لا يقيمون للإنسانية وزناً فى قاموسهم وجل ما يهمهم هو منافعهم الفردية وآمالهم الشخصية. شيماء محمدى فى الرواية هى الطالبة الموهوبة التى استطاعت بفضل ذكائها وعبقريتها أن تدخل جامعة



إلينوى. ولكنها تعلق في جوّ ذبابى بين ما نشأت فيه من الرسوم التقليديه والثقافة المصرية القديمة وبين ما واجهته في شيكاغو من الثقافة الأمريكية والحريات التي ليست بها عهد في مصر وفي حياتها القديمة. ففي مثل هذا الفضاء الذبابى تفقد سيطرتها على نفسها وتقع في مشاكل عديدة تضعها في ضيق وحرَج.

أما الدكتور صلاح، فهو مصرى أستاذ في جامعة إلينوى ويعيش مع زوجته الأمريكية ومع أنه عاش أكثر من عشرين سنة في أمريكا ما استطاع أن ينسى مصر وعشيقته المصرية وحياته الساذجة فيها وفي نهاية مطافه قتل النفس لأنه ما استطاع أن يلائم بين ثقافة المصرية العريقة وبين ثقافته الأمريكية. الدكتور رأفت ثابت أيضا مصرى أستاذ في جامعة إلينوى ولكن شخصيته الفردية وسلوكه الإجتماعى يعارض تماما مع الدكتور صلاح، فهو ينكر جنسيته المصرية انكارا ويعتقد تماما بأنه أمريكى ويتنفر من كل شيء يشم منه رائحة المصر والمصريين، ولكنه يواجه أيضا في حياته الفردية كثيرا من المشاكل خاصة فيما يرتبطة بابنته الشابة وما عقدت من صلة مع شاب أمريكى مدمن، فثقافته الأمريكية التي تفتخر بها أجبرتها أن يؤيد هذه الصلة وثقافته المصرية تدعوه كي يحول دونها وفي النهاية يواجه جسد ابنته العزيرة في ساحة بيته.

اللواء صفوت شاكر يعد من الشخصيات الهامة في هذه الرواية. هو في الحقيقة رمز للمنظمات الأمنية المصرية، فمع أن حضور هذه الشخصية في أحداث الرواية قليل، ولكنه كلما دخل في حادثة فيؤثر عليه تأثيرا يكاد يكون كاملا، فحينما مع الإبتسام وحينما مع الغضب وأحيانا أخرى مع الوعيد و التهديد يدخل في صلب الموضوع ويغير مسير الأحداث إلى الجهة التي يريدونها وتريدها الحكومة المصرية. هذه الرواية تعدّ من الروايات التي تسمى ببطولة المكان، كما يشير العنوان أيضا إلى هذا الأمر، فالبطل الحقيقي في الرواية هي مدينة شيكاغو وبقية الشخصيات تظهر في هذا المكان وتبدأ أعمالها في ظلها وتتفاعل معها، فشيكاجو هو البطل الحقيقي في الرواية وتجرى الأحداث في بطنها.

### نظرية لوكاتش والنقد الواقعى لرواية شيكاغو

حاول لوكاتش أن يستفيد من النقد الماركسى في نظريته النقدية وأكد فيها على الواقعية وطرح لها عدّة سمات وسماتها بالواقعية العظيمة. فهو يعدّ «منظّرا لهذا الإتجاه

عندما درس وحلّل العلاقة بين المجتمع والأدب باعتباره انعكاساً وتمثيلاً للحياة، وقدم دراسات ربط فيها بين نشأة الجنس الأدبي وازدهاره وبين طبيعة الحياة الإجتماعية والثقافية لمجتمع ما تسمى بسوسيولوجيا الأجناس الأدبية، تناول فيها الطبيعة ونشأة الرواية المقترنة بنشأة حركة الرأس مالية العالمية وصعود البرجوازية الغربية» (فضل، ١٤١٧: ٥٥).

بقي *لوكاتش* مخلصاً للعقائد الماركسية ولكن خلافاً للذين كانوا قبله من الماركسيين، حاول أن يلائم بين العقائد الماركسية البحتة التي لا يقيم للشكل الأدبي وزناً وبين الجماليات الأدبية والفنية في الآثار الأدبية. فهو ينظر إلى المضمون ولكن ما يطرح الشكل الأدبي والفني جانباً. «وقد خصص *لوكاتش* الكثير من أعماله حول الفكر والأدب والفن مستنداً إلى ربط وثيق بين الذوق الكلاسيكي الذي لا يتوقف عن إبداء إعجابه به وبين العقيدة الماركسية التي بقي مخلصاً لها طوال حياته، فكتاباتُه عن علم الجمال وتنظيراته الأدبية والفكرية لا تزال من المراجع الأساسية للأدباء الواقعيين والنقاد الذين ينهجوا المنهج الإجتماعي (منتظري، ١٣٩١: ١٦٨).

فعلى هذا الأساس طرح *لوكاتش* ثلاث سمات للواقعية في نظريته وهي الواقعية الحقيقية أو انتصار الواقعية والواقعية النقدية وشعبية الأدب. فهذا المقال يحاول أن يطبق هذه السمات الثلاثة على رواية «شيكاجو» لكي يبحث عن مدى انطباقية هذه الرواية مع الواقعية في نظرية *لوكاتش* في النقد الإجتماعي.

### الف. الواقعية الحقيقية أو انتصار الواقعية

كما مر بنا، حسب نظرية *لوكاتش* في النقد الإجتماعي، على الكاتب، حينما يكتب رواية أو قصة أو يخلق أثراً أدبياً، أن يكتب عن الحقيقة كما هي وبغض النظر عن أيديولوجيته وأفكاره وعما يحبه أو يبغضه. «من البديهي أن يواجهنا هذا الأمر مع مسألة هامة في جماليات النص. امتد جذور هذا الأمر حتى أعمق أغوار الفن الواقعي ويعد جوهر الواقعية: أن يكون الكاتب ظمناً للحقيقة ويتطلب الواقعية بحرص وطمع في جنب الأخلاقيات وطهارة الضمير» (لوكاتش، ١٣٧٣: ١٣). حينما يتكلم *لوكاتش* عن الواقعية العظيمة في نظريته يطرح سؤالاً ويقول: «ما صلة كل هذا بالأدب؟ حسب النظرية

التعبيري أو السريالية التي تنكر علاقة الأدب بالواقع الموضوعى ليس ثمة صلة له {الواقع الموضوعى} بالأدب. أما فى النظرية الماركسية للأدب فالصلة قوية جدا. فإذا كان الأدب بالفعل شكلا خاصا لانعكاس الواقع الموضوعى، فمن المهم جدا له أن يستوعب هذا الواقع كما هو بالفعل، ولا يقتصر على التعبير عما يبدو مباشرة» (لوكاتش، ١٩٨٥: ١٢٤). فعلى الأديب فى رأى لوكاتش أن يدخل الواقع الموضوعى كما هو وينظر إلى الجذور ولا يأتى بما يبدو عليه أولا. ثم يديم كلامه: «لكن ليس ثمة فى الواقع ركود أبدا، إن العمل الفنى والفكرى يتحرك حتما إما اقترابا من الواقع أو ابتعادا عنه» (نفس المصدر: ١٣٢) فالكاتب والأديب على عقيدة لوكاتش يمكن أن يبتعد عن الواقع أو يقترب إليه حسب الواقع الموضوعى وكيفية تعامله معه شأن الناقد هنا إمطة اللثام عن هذه الحقيقة مع إمعان النظر فى آثار الأديب ومقارنته بما هو جرى أو يجرى حقل المجتمع الذى يعيش الأديب فيه أو يتكلم عنه.

استطاع الأسوانى فى رواية «شيكاجو» أن يتطرق إلى آفات المجتمع المصرى العديدة زمن رئاسة حسنى مبارك وأن يبرزها فى روايته هذه على لسان شخصياته المصرية الذين يعيشون فى الولايات المتحدة، كما استغل الفرصة وتكلم فى ثنايا روايته عن المجتمع الإمبريكي وما يشيع فيه - على حسب عقيدته - من الآفات الإجتماعية. فى الحقيقة كل ما يتكلم عنه الأسوانى فى هذه الرواية من الأمراض الإجتماعية المرتبطة بالشعب المصرى وبالحكومة المصرية المباركية إن صح التعبير، هى التى نقرأها الآن على حدّ ما فى مختلف الكتب التاريخية والسياسية التى كتبت حول تلك الحقبة التاريخية لمصر.

من الطريف أن الأسوانى ما يرمى سهامه فى هذا الصدد إلى الجامعة المصرية وحكومة حسنى مبارك فحسب، بل لا ينجو المجتمع الأمريكى أيضا من هذه السهام اللاذعة. فكلما أراد الأسوانى أن يتكلم عن مثل تلك الحقائق المرة تدخل فى ثوب إحدى شخصيات روايته ويتكلم بصراحة ودون خوف عما سبّب لبلده أو لأمرىكا كثيرا من الآفات الإجتماعية. على سبيل المثال حينما يريد أن يتكلم عن ضعف "الأنا الشرقى" حيال "الأخر الغربى" - الآفة التى كانت شائعة فى المجتمع المصرى وخاصة بين المثقفين المصريين زمن مبارك - يرتدى قناع الدكتور رأفت ثابت ويتكلم بجرأة وبجهرارة عن تنفره

من مصر ومن الشعب المصرى. فحينما يدخل فى نقاش مع أساتذة جامعة إلينوى فى قبول طالب مصرى أرسل طلبا لتلك الجامعة لمواصلة دراسته فى مرحلة الماجستير فى تلك الجامعة، يرفض هذا الطلب ويتكلم عن الصفات السلبية للشعب المصرى ويقول: «باعتبارى كنت مصرى فى يوم من الأيام فأنا أعرف جيدا كيف يفكر المصريون... إنهم لا يتعلمون من أجل العلم... وهم يحصلون على الماجستير أو الدكتوراه ليس من أجل البحث العلمى، وإنما من أجل الحصول على ترقية أو عقد مُجزٍ فى بلاد الخليج» (الأسوانى، ٢٠٠٧: ٢٧).

من الطريف أن الدكتور ثابت حينما يتكلم عن نفسه، يستخدم عبارة «كنت مصرى فى يوم من الأيام» وهذا هو الذى نسميه بنسيان الأنا واللجوء إلى الآخر، وفى مقطع آخر، حينما يدخل فى صراع مع أحد الأساتذة ويُتهم من قبله بالعنصرية واتخاذ الموقف العدائى مع المصريين مع كونه مصرى يقول: كنتُ مصرى يوما ما، وقد أقلعت عن ذلك... أيها الرفيق... متى ستعترف بجواز السفر الأمريكى الذى أحمله؟ (نفس المصدر) فالأسوانى استطاع أن يرسم لنا صورة بعض المصريين الذين خسروا أنفسهم وثقافتهم المصرية أمام الآخر الغربى دون أن يدخل فى هذا الموضوع ايدئولوجيته أو حبه للمصر أو كراهيته أو آرائه الفردية.

نجاح الأسوانى فى ترسيم صورة الزيف والتملق الذى شاع فى المجتمع المصرى وبين طائفة من المثقفين المصريين فى سبيل الوصول إلى بعض المناصب أو الكراسى الحكومية يبحث فى هذا الإطار أيضا. «مادام الفساد قد أصبح سائداً فى الإقتصاد والسياسة فكيف لا يصيب أيضا الثقافة والمثقفين بل والخطاب الدينى نفسه؟» (أمين، ٢٠١١: ١٥٧). فى هذا الصدد يمكننا أن نتمثل بشخصية أحمد دنانة فى رواية «شيكاجو». هو شخصية لا يهيمه أى شىء حيال إرتقائه فى المناصب الرسمية وحصوله على شىء من القدرة والمال و... الذى يضمن له مكانة إجتماعية راقية فى مصر بعد رجوعه من أمريكا. فيستغل زوجته ويجبرها أن تأخذ من أبيها مبلغا شهريا بذريعة أنه ليس لديه ما يكفى فى الغربة (أمريكا) لسد حاجاته العائلية اليومية، فبعد أن فهمت زوجته أن دنانه يأخذ مرتبا إضافيا وكتمه منها ساءها هذا الأمر وشكت إليها، فأجابها: «لم أخبرك عن الإضافى لأنه لم تأت مناسبة، كما أنك كزوجة ليس من حقك دينيا أن تعرفى مرتب زوجك، وأستطيع أن

أقدم لك الدليل الشرعى على ذلك... أما المبلغ البسيط الذى يساعدنا به أبوك، فأنا أراه أمرا طبيعيا؛ لأن ربنا أعطاه مالا كثيرا، أما نحن فنبدأ حياتنا ويجب أن ندخر... والإدخار فضيله كبيرة حضا عليها أشرف الخلق المصطفى صلى الله عليه وسلم» (ص ١٠٢).

فدنانة فى الرواية رمز للذين يذلون أنفسهم أمام رؤسائهم لكى يرضيهم فى سبيل الوصول إلى منفعة مادية ولا يجتنبون من أى عمل غير أخلاقى فى هذا الصدد. استغلال الآخرين، الفرار من الحقيقة، اللجوء إلى الدين واستغلال التعاليم الدينية لتبرير أعمال الغير الأخلاقية واللاإنسانية، التملق أمام المسؤولين محاولا الوصول إلى مكانة أو منصب... يعد من الرذائل البارزة الأخلاقية لهذه الشخصية.

الفساد الإدارى الذى شاع فى المنظمات الحكومية المصرية زمن رئاسة حسنى مبارك لا يخفى على أحد. فالإرتشاء وعدم قبول المسئولية حيال المراجعين والسعى وراء الفرار من إنجاز عمل مفيد واتلاف الوقت وإهداره فى الدوائر الحكومية من السمات البارزة للمجتمع المصرى آنذاك. /الأسوانى حاول أن يصف لنا فى روايته مثل هذه الآفات الإجتماعية. السمة التى نعدها من خصائص انتصار الواقعية فى نظرية لوكاتش.

حينما اتصل الدكتور صلاح بصديقه القديمة زينب وهى فى دائرتها وسأل عنها عن الوقت المناسب للإتصال وهى فى علمها أجابته: أنا أعمل فى الحكومة المصرية يا صلاح!... عملنا هنا يتلخص فى الحضور إلى العمل... لدينا دائما فائض من الوقت (الأسوانى، ٢٠٠٧: ٣٨٠) أو حينما يريد أن يتكلم عن مصر على لسان شخصيات روايته، فلا يخفى نفسه خلف أى شىء ويتكلم بصراحة ودون خوف: مصر فى أسوأ أحوالها يا صلاح... كأن كل ما ناضلنا من أجله أنا وزملائي، كان سرايا... لم تتحقق الديمقراطية ولم نتحرر من التخلف والجهل والفساد... كل شىء تغير إلى الأسوأ... الأفكار الرجعية تنتشر فى مصر كالوباء (نفس المصدر: ٣٨١).

التكلم عن السياسية المصرية زمن عبد/الناصر وحسنى مبارك وإماطة اللثام عن التعسف السياسى والإجتماعى، وانتشار الفساد واتخاذ السياسات الخاطئة من جهة وتسليم الدولة أمام الأجانب وخاصة الإمبركان من جهة أخرى، وهزيمة عبد/الناصر وحسنى مبارك فى برامجهم الإجتماعية والسياسية من جهة ثالثة هى الأمور التى يشير إليها/الأسوانى تارة مباشرة على لسان شخصياته وتارة بصورة غير مباشرة حينما يتكلم عن أحوال

شخصياته المعيشية والاجتماعية والسياسية فى مصر. فى حوار جرى بين جراهام وناجى عبدالصمد، يتكلم ناجى عن أحوال مصر السيئة زمن حسنى مبارك ويقول: «المصريون جميعا مضطهدون... النظام فى مصر مستبد وفساد... وهو يضطهد المصريين جميعا، مسلمين وأقباطا... بالطبع تحدث حوادث تعصب فردية هنا وهناك، لكنها لا تشكل ظاهرة فى رأى... إن التعصب الدينى نتيجة مباشرة للكبى السياسى... المصريون جميعا يعانون من التمييز ضدهم ما داموا ليسوا أعضاء فى الحزب الحاكم... أنا مثلا مسلم، لكنهم رفضوا تعيينى فى جامعة القاهرة بسبب نشاطى السياسى... أن المصريين يموتون يوميا فى أقسام الشرطة من شدة التعذيب...» (ص ١٦٤).

ما قاله الأسوانى فى هذه الفقرة على لسان عبدالصمد نفس الأمر الذى يؤيده المصادر التاريخية حول فساد الحكومة زمن رئاسة حسنى مبارك: «ساد الفساد السياسى بشكل دراماتيكى فى الوزارة الداخلية خلال فترة حكم مبارك نتيجة لزيادة السلطة على النظام التشريعى اللازم لتأمين فترة رئاسة مبارك الطويلة، وقد أدى هذا الفساد لسجن شخصيات سياسية... وتأسيس معتقلات مخفية غير قانونية وغير موثقة فى السجلات ورفض العاملين بالجامعات والمساجد والجرائد بناء على ميولهم السياسية. وعلى مستوى الأفراد سمح لكل ضابط بانتهاك خصوصية المواطنين فى منتطقته بالاعتقال الغير المشروط وفقا لقانون الطوارئ» (Ar.m.wikipedia.org. تاريخ مصر تحت حكم مبارك) فتتجاهر الكتب التاريخية بالفساد الذى شاع فى المجتمع المصرى زمن مبارك وفرض هيمنته على جميع أرجاء البلاد: فى العشرين سنة الأخيرة تضافرت عدة عوامل قوية لانتشار الفساد بين الشرائح المختلفة فى المجتمع المصرى العليا والوسطى والدنيا، بدرجة لم يعرف مثيل لها لا فى السبعينيات ولا فى الستينيات والخمسينيات (أمين، ٢٠١١: ٧٧).

أما بالنسبة إلى الحكومة الأمريكية وكيفية تعامل حسنى مبارك معه فىأتى الأسوانى بحكاية طريفة حول سكرتير الرئيس مبارك للمعلومات، الدكتور نائل الطوخى الذى قرر له الإستغناء عن خدماته عقابا له بسبب ما سماه الرئيس فى رسالة رسمية أرسلها إلى السفارة الأمريكية بتصرف الدكتور طوخى غير المسئول، وما سبب هذه الرسالة إلا تشجار الدكتور طوخى مع موظف بسيط فى السفارة الأمريكية حول أسبقية المرور فى أحد

شوارع أمريكا. ثم يتمثل *الأسوانى* بهذا القول للمبارك: الحاكم الذى يتحدى الإدارة الأمريكية كالأحمق الذى يضع رأسه فى فم الأسد (الأسوانى، ٢٠٠٧: ٤١٨) وهكذا تقول المصادر التاريخية حول كيفية تعامل مبارك مع أمريكا: التبعية للولايات المتحدة استمرت واقتترنت بإذلال أكبر ومهانة أشد، ولكن دون تسمية الساسة الأمريكيين بالأصدقاء كما كان يفعل السادات ودون الإحتفاء بهم (أمين، ٢٠١١: ١٩٨). هذه المهانة هى التى تجعل الرئيس مبارك أن يستغنى عن خدماته سكرتيره الدكتور بهذا السبب البسيط.

من الطريف أن *الأسوانى* لا يقف عند مصر بل هو ينظر إلى مصر وأمريكا من منظور واحد كأنهما وجهان لعملة واحدة، فهو حينما يتكلم عن أمريكا فى روايته، ينظر إلى الإيجابيات والسلبيات ولا يتحاشى أن يتجاهر بما يجرى فى المجتمع الأمريكى من فساد العقيدة والتبعية العنصرى والمواقف اللإنسانية التى يتخذها الأميركيان أمام الجاليات المختلفة فى أمريكا.

فهذه كارول زوجة جراهام وكانت سوداء، حاولت كثيرا لكى تحصل على عمل وباءت محاولاتها بالفشل بسبب لونها، فتقول لزوجتها فى وصف مقابلتها لشخص أبيض اللون كانت ترجوا منه أن يعطيها عملا: «كان صاحب العمل خنزيرا... ما إن رآنى سوداء حتى أنهى المقابلة. قال إنه سيتصل بى فيما بعد... أكدت له أننى عملت سكرتيرة تنفيذية لسنوات وأن معى شهادات خبرة... لكنه صرفنى بإشارة من يده وكأننى خادمة» (الأسوانى، ٢٠٠٧: ١٩٧) أو فى مقطع آخر يصف *الأسوانى* ما تشعر به كارول من خيبة أمل حيال لونها فى المجتمع الأمريكى الراقى والمثقف هكذا: «كانت قد اعتادت خيبة الأمل ولم يعد هناك ما يصدمها... أكثر ما ألمها معاملة بعض أصحاب العمل البيض لها، لم يكن الواحد منهم يصرح برفضه تعيين السود لأن ذلك مخالف للقانون، لكنه ما إن يراها حتى يبدو على وجهه تعبيراً بارداً مُتعالٍ وينهى المقابلة واعدت باتصال تعلم جيدا أنه لن يحدث. تعاقبت هذه المواقف المهينة مثل صفعات على وجهها» (ص ٢٦٧).

مثل هذه المواقف ووجهات النظر كثيرة ومنشرة بين دفتى الرواية، فالأسوانى بسبب انتمائه للتيار الواقعى ووعيه الثقافى والقومى استطاع أن يبرز لنا ما يجرى فى المجتمع المصرى من الأمراض الإجتماعية والثقافية التى تحيط بالمصريين من جهة وبالحوكمة

المصرية والمنتمين إليه من جهة أخرى كما يتكلم عن المجتمع الأمريكي وما شاع فيه من الآفات الإجتماعية. ولكن هنا يجدر الإشارة إلى نكتة هامة، ألا وهي أن الرؤية السوداء السلبية للأسوانى حيال المجتمعين المصري والأمريكى من جهة وهيمنة وجهة نظر الكاتب وسيطرته على ما يعتقد الكاتب حيالهما فى بعض الأحيان لا ما يجرى على أرض الواقع فى مجتمعين وهذا الأمر سبب أن يبتعد أسوانى بعض الإبتعاد عما سماه لوكاتش بالواقعية الحقيقية.

### الواقعية النقدية

كما مر بنا أنفا، اعتقد لوكاتش بأنه على الكاتب الإجتماعى أن لا يقف مكتوف الأيدى أمام ما يحدث فى مجتمعه. فالكاتب فى السمة الأولى من السمات الثلاثة التى طرحها لوكاتش لنظريته، يشبه المرأة التى تعكس كل ما يحدث فى مجتمعه. ولكن نظر لوكاتش إلى أبعد من ذلك وطرح السمة الثانية، يعنى الواقعية النقدية. فعلى هذا المعيار على الكاتب أن ينتقد كل ما يجرى فى مجتمعه من الآفات الإجتماعية بصورة منطقية وأن يجعلها فى بوتقة النقد أملا الوصول إلى مستقبل أفضل وأصلح. ففى رواية «شيكاجو» يوجد كثير من المواقف المباشرة وغير المباشرة التى اتخذها الأسوانى حيال الأحداث الإجتماعية محاولا إصلاحها أو لفت انتباه المواطنين المصريين وحكام مصر إليه؛ مثل هذه المواقف كثيرة بصورة ملفتة نشير إلى بعضها على سبيل المثال ولا الحصر.

فهو حينما يريد أن يتكلم عن الأوضاع السياسية المصرية زمن عبد/ناصر يستفيد من شخصية رأفت ثابت الذى نشاهد عنده مواقف عدائية لكل ما يجد فيه لونا أو رائحة من مصر والمصريين: «المصريون لا يصلحون للعمل فى أماكن محترمة لأن عيوبهم كثيرة وفادحة: الجبن والنفاق، الكذب والمراوغة والكسب، عدم القدرة على التفكير المنظم وأسوأ من كل ذلك: العشوائية والفهلوة...» (الأسوانى، ٢٠٠٧: ٤٢).

ولكنه لا يقف عند هذا الحد ولا يكتفى بإطلاق هذا الكلام فحسب، بل ينتقد من الحكومة المصرية آنذاك يعنى حكومة عبد/ناصر ويحيل سبب هذه النزعات العدائية إلى الشعب المصرى من قِبَل رأفت ثابت/ الجيل المصرى المثقف، إلى ما فعله حكومة عبد/الناصر حيال أبيه/ الجيل المصرى القديم: «هذه النظرة السلبية للمصريين تتوافق مع



تاريخ رأفت ثابت؛ فقد هاجر من مصر إلى أمريكا أوائل الستينيات بعد أن أمم عبد/الناصر مصانع الزجاج التى يملكها أبوه محمود باشا ثابت، وبالرغم من القبضة الحديدية للنظام آنذاك، فقد استطاع أن يهرب...»(نفس المصدر). بلغ الأمر عنده إلى حد حينما يسأله أحد عن موطنه ومحل ولادته يجيب: «ولدت فى مصر، وهربت من الظلم والتخلف إلى العدل والحرية»(نفس المصدر)

فالأسوانى هنا وبصورة غير مباشره ينتقد الحكومة المصرية وسياسات عبد/الناصر الخاطئة حيال المصريين، ويرجع سبب هذه الكراهية القائمة عند بعض المصريين إلى مثل هذه المواقف الحكومية؛ الأمر الذى تؤيده المصادر التاريخية: «المدهش أنه فى نفس هذه الفترة(سنة ١٩٦٠ ومابعدها) اتخذ عبد/الناصر إجراءات فى غاية القسوة ضد الشيوعيين المصريين الذين كان من بينهم بعض كبار المثقفين والفنانين الموهوبين. فلسبب ما فضل عبد/الناصر أن يؤمم الشركات ويتخذ إجراءات إعادة توزيع الداخل وإنصاف العمال وإشراكهم فى الإدارة فى غياب الإشتراكيين والشيوعيين، إذ أودع كثيرين منهم السجن، حيث تعرض بعضهم للتعذيب، ولم ينج منهم إلا من هرب إلى خارج مصر» (أمين، ٢٠١١: ١٦٣). وفى هذا الصدد يخلق الأسوانى شخصية رأفت ثابت ويجعله فى الزمكان الذى يساعد الشخصية فى البوح عما يجيش فى صدرها فى كلام يناسب الشخصية ومكانتها العلمية من جهة وتعارضها مع الحكومة المصرية من جهة أخرى.

التكلم عن البيروقراطية المصرية وإماطة اللثام عنها أيضا يعد من نماذج الواقعية النقدية فى رواية شيكاجو. الأسوانى حاول أن يبرز لنا هذه الخبيصة وينتقدها فى روايته. على سبيل المثال حينما طلب من ناجى عبد الصمد بعد دخوله جامعة إلينوى أن يطبع اسمها على لافتة ويعلقها على باب غرفته، ذهب إلى مسئول اللافتات وهى عجوزة أمريكية؛ حينما قالت له العجوزة: مرَّ علىّ بعد الغداء لتتسلم لافتتك(الأسوانى، ٢٠٠٧: ١٢٨). يقول ناجى عبد الصمد وهو الرواى كما مر بنا: اندهشت؛ إذ لم يكن قد بقى على الغداء سوى ساعة واحدة(نفس المصدر) ولكن الأسوانى لا يكتفى بهذا، بل حينما يستلم ناجى لافتته يسألها: ألا يجب أن أوقع على إيصال باستلامها؟ أليست هذه لافتتك؟! نعم. هل سيهتم أحد سواك بأن يأخذها؟(نفس المصدر) هنا يشير الأسوانى / ناجى عبد الصمد إلى البيروقراطى المصرى الذى يعانى المصريون منه ويقول: لابد أن أتخلص من الميراث

البيروقراطي المصري الذي أحمله في دمي (نفس المصدر). هذا يعنى المصريون على حد عقيدة *الأسوانى*، يحملون في دمهم ميراثا بيروقراطيا وهذا الميراث يعد من سمات حكام مصريين كأمثال عبدالناصر وحسنى مبارك. فالأسوانى استطاع أن ينتقد هذه الآفة الإجتماعية والحكومية فى مصر وأن يبرز مدى شيوعها بين المصريين مستعينا بشخصية ناجى عبدالصمد/ الطالب المعارض المصرى وبمكان جامعة إينوى/ مكانا علمياً بعيداً تماماً عن سمات المجتمع المصرى وهكذا استطاع *الأسوانى* أن ينتقد من آفة إجتماعية مصرية- على حسب عقيدته- مستعينا بعناصر روايته.

انتقاد *الأسوانى* من الذين يستغلون الدين والتعاليم الدينية فى سبيل الوصول إلى أهدافهم ومآربهم الشخصية أيضا يعدّ من سمات الواقعية النقدية فى هذه الرواية. فالأسوانى أشار إلى هذا الموضوع فى أكثر من موضع من الرواية وحاول أن يحيل سببه إلى الفساد العقائدى الذى فرض هيمنته على مصر بصورة كاملة. فهذا كرم دوس وهو مصرى قبطى حينما يتكلم مع جراهام وهو أستاذ بجامعة إينوى، يرجع سبب عدم مواصلة دراسته فى مصر إلى كونه قبطيا: أنا خريج طب عين شمس... ولكنى فررت إلى أمريكا هربا من الإضطهاد... فى أيامى كان رئيس قسم الرجاحة العامة مسلما متشددا، يجاهر بكرهيته للأقباط... كان يؤمن بأن تعليم الأقباط الجراحة لا يجوز فى الإسلام، لأنه يمكن الكفار من التحكم فى حياة المسلمين (الأسوانى، ٢٠٠٧: ١٦٣).

أو فى مكان آخر بعد توضيح نقاش وقع بين كرم دوس و أستاذه "بلبع" الذى منعه من مواصلة دراسته فى قسم الجراحة قائلا: لن تكون جراحا؛ هكذا يتكلم *الأسوانى* / كرم دوس وينتقد من مثل هذه المواقف المشينة التى يخالفها الإسلام الحقيقى كما يخالفه سائر الأديان الإلهية: كيف يسمح بلبع لنفسه بأن يقضى على مستقبل الآخرين بهذه البساطة؟ ألا يشعر بظل من تأنيب الضمير عندما يتقرف هذا الظلم؟... كيف يستطيع بعد ذلك أن يقف بين يدي الرب وهو يصلى؟ (نفس المصدر: ٢٤٢) ولكن وفى نهاية المطاف أصيب بلبع بنوبة قلبية وأرسل لإجراء عملية جراحية إلى أمريكا والذى أجرى هذه العملية هو كرم دوس. فهذا هو العقاب الذى حدّد له *الأسوانى*؛ كما تدين تدان.

أحمد دنانة، الطالب الذى أرسل مع بعثة إلى أمريكا، لا بسبب مواهبه الفردية العلمية وإنما بسبب صلته بالمنظمات المصرية الحكومية يعدّ نموذجا كاملا من الذين يستغلون

الدين فى سبيل الوصول إلى أهدافهم الفردية وآمالهم الشخصية، فهو يتصف فى الرواية بقلة النزاهة والانتهازية. ففى كثير من أحداث الرواية التى لدنانة فيها دور بارز، نرى أنه يستغل الدين لتبرير آرائه وأعماله. هذا الأمر يمتد حتى إلى حياته العائلية وعلاقاته الزوجية مع زوجته. فهو دائماً يستغل الدين كألة يساعده فى إنجاز أهدافه وآماله. فالأسوانى كلما يذكر مثل هذه الأعمال لدنانة، ينتقده مباشرة أو غير مباشرة تارة على لسان شخصياته كزوجته أو بعض الطلاب المصريين فى جامعة إلينوى وتارة على لسان سارد الرواية. الواقعية النقدية عند الكاتب لا يقف فقط فى مرحلة الإنتقاد، بل فى بعض الأحيان على الكاتب الواقعى أن يتكلم عما كان صدر عن شخص أو فئة أو إجتماع خاطئاً، لا نناقش فى مثل هذه الأخطاء، أهى أخطاء حقيقية أم ما وصل اليه الشخصية حالياً هو الخطأ حسب ظروفه الزمكانية. على أى حال، على الكاتب، حسب نظرية لوكاتش فى الواقعية النقدية، أن يرسم لنا مثل هذه العقائد. ففى مثل هذه الأحوال، الكاتب ينتقد من شىء وينقده على لسان شخصياته.

فعل الأسوانى هذا الأمر حينما يتكلم عن أمريكا على لسان ناجى عبدالصمد وينتقد أفكاره القديمة الخاطئة- على حسب عقيدته- فيما يتربط بالشعب الأمريكى: أنا الآن فى أمريكا التى طالما هاجمتها وهتفت بسقوطها وأحرقت علمها فى المظاهرات... أمريكا المسئولة عن إفقار وشقاء ملايين البشر فى العالم... أمريكا التى ساندت إسرائيل وسلحتتها ومكنتها من قتل الفلسطينيين وانتزاع أرضهم... أمريكا التى دعمت كل الحكام الفاسدين المستبدين فى العالم العربى من أجل مصالحها... أمريكا الشريرة هذه أراها الآن من الداخل... ويلح على السؤال: هؤلاء الأمريكيون الطيبون الذين يتعاملون مع الغرباء بلطف، الذين يبتسمون فى وجهك ويحيونك بمجرد أن تلقاهم، الذين يساعدونك ويفسحون لك الطريق أمام الأبواب ويشكرونك بحرارة لأقل سبب، هل يدركون مدى بشاعة الجرائم التى تقترفها حكوماتهم فى حق الإنسانية؟ (الأسوانى، ٢٠٠٧: ٥٥).

أما شخصياته الأمريكية فهم يعيشون فى جو من التبعض العنصرى الذى كاد أن يحنقهم. فالأميركان لا يقبلون الشرقيين فى مجتمعهم على الإجمال ولا ينظرون إليهم نظرة ايجابية كما ينظرون إلى السود نظرة الإحتقار. من الطريف أن كتابة هذه الرواية تزامنت مع ترشيح أوباما- وهو أول رئيس أسود فى المجتمع الأمريكى- ونجاحه فى

الانتخابات رئاسة الجمهور في أمريكا، ولكن كل ما يقرأ هذه الرواية يخيل إليه بأن المجتمع الأمريكي مجتمع عنصري بحت لا يقيم للسود وزناً أبداً. بعد تصفح الرواية، يتضح للقارئ بأن مثل هذه المواقف كثيرة منتشرة في طيات الرواية، ولكن الأسوانى ما استطاع أن ينظر الى ما يجرى في المجتمعين دون أن يسيطر عليهما آرائه الفردية وايدئولوجيته. فنظرة الكاتب على المجتمعين نظرة قاتمة لا ترى فيهما إلا الظلم والتعسف الإجتماعى وفساد العقيدة وانحطاط الأخلاقيات. فقليلاً ما نواجه شخصية ايجابية في هذه الرواية، فكثير من شخصياته عندهم أفكار خاطئة أو عقائد عنصرية أو انحطاط في الأخلاق أو... بعبارة أخرى هو يدخل عقائده الشخصية ورؤيته السلبية حيال المجتمع المصرى والأمريكى فجل ما يرى فى المجتمعين هو الظلم والتعسف والتبعيض العنصرى والنظام الفاسد السياسى و... فهذا الأمر يسبب أن يبتعد أسوانى بعض الإبتعاد عما سماه *لوكاتش* فى نظريته بالواقعية النقدية.

### الشعبية

حينما يتكلم *لوكاتش* عن الشعبية فى نظريته، يطلعنا على شىء مهم فى هذه السمة وهى الصلة بالتراث ويعرفنا عليه هكذا: «أن يمتلك المرء صلة حية بالتراث يعنى أن يكون إبناً لشعبه محمولاً على تيار تطوره؛ وهكذا فإن مكسيم غوركى هو ابن للشعب الروسى ورومان رولان ابن للشعب الفرنسى وتوماس مان ابن للشعب الألمانى. إن محتوى وجرس كتاباتهم، رغم كل أصالتها الفردية... يصدران عن الحياة، عن تاريخ شعبهم. انها نتاج عضوى لتطور شعبهم ولذا ينبجس من كتاباتهم، على رقيها الفنى، جرس يمكن أن يتردد بل يتردد رجعه فى قلب أوسع الجماهير الشعبية» (*لوكاتش*، ١٩٨٥: ١٥٢) ويقول فى مكان آخر: «صلة الحية بحياة الشعب والتطور اللاحق التقدمى لتجارب الحياة الخاصة هذان هما بالذات الرسالة الإجتماعية الكبرى للأدب» (نفس المصدر: ١٥٦).

فالأديب الشعبى فى نظرية *لوكاتش* هو الذى له صلة حية بحياة الشعب، بحيث يمكننا أن نسميه ابن الشعب، فهو مع أسلوبه الشخصى وأصالته الفردية يندمج الشعب فى كتاباته وكتاباتة فى الشعب، فلا نسمع مما يكتب إلا صوت الحياة والتاريخ والجماهير. «لا يعدّ الانتشار الواسع بحد ذاته لنتاج أدبى أو اتجاه أدبى دليلاً على طابعه الشعبى. إن مآثرات

تقليدية متخلفة وكذلك أشياء حديثة سيئة قد حققت انتشارا جماهيريا، دون أن تكون ولا من ناحية من النواحي شعبية حقا» (لوكاتش، ١٩٨٥: ١٥٢). هذه السمّة نجدها نوعا ما فى رواية «شيكاجو». فيكفينا أن ننظر نظرة سريعة وعابرة إلى ما يجرى فى هذه الرواية حتى نرى أكثر من نموذج يجعلنا أن نعترف بوجود بعض سمات الشعبية للأسوانى فى هذه الرواية. ففشل كرم دوس لمواصلة دراسته فى مصر بسبب كونه قبطيا يطلعنا على الإضطهاد الذى يعانى منه القبطيون فى مصر، ولجوء ناجى عبدالصمد إلى أمريكا وفراره من مصر يعطينا ما عانى منه الجيل المثقف المصرى تحت وطأة حكم المبارك. الصفوت شاكر وأعماله التعسفية وما قام به من كبت وقمع وتعذيب يفتح عيوننا أمام ما قام به البوليس المصرى ومنظمة الأمن الحكومى فى مصر من مثل هذه الجرائم البشعة ضد الشعب المصرى وما صرحت به كتب التاريخ فى طياتها.

شيماء محمدي وما انتابها من أفكار يجعلها كالمعلقة بين ثقافتها المصرى وبين ما رآها فى أمريكا من ثقافة تختلف تماما مع ما اعتادها فى مصر يطلعنا على الدور الذى أصاب الشعب المصرى المثقف فى صراعه النفسى بين الأنا والآخر وفى كثير من الأحيان هزيمة الأنا الشرقى أمام الآخر الغربى. استغلال التعاليم الدينية والآيات القرآنية والأحاديث الشريفة فى تبرير الأعمال الخاطئة من قبل بعض الشخصيات كأحمد دنانه وصفوت شاكر و... يطلعنا على هذه الآفة الإجتماعية والدينية الشائعة فى المجتمع المصرى، وكل هذا يعنى مهارة الأسوانى كإبن للوطن فى وصف هذه الآفات والمصائب الإجتماعية فى قالب زاهى الألوان وأسلوب أدبى جميل يراعى فيه الأسوانى جماليات الكتابة جنبا إلى جنب جماليات القصة وعناصره من المكان والزمان والرواية والشخصيات بحيث لا يمكن لأحد أن ينكر جماله جنبا إلى جنب واقعيته. فعلى هذا الأساس يمكننا أن نعدّ رواية «شيكاجو» للأسوانى روايةً جديرة بالإهتمام على أساس نظرية لوكاتش فى النقد الإجتماعى.

## نتيجة البحث

البحث حصلت له هذه النتائج:

١. حاول الأسوانى أن يشير فى هذه الرواية إلى كل ما رآه فى المجتمع المصرى والمجتمع الأمريكى من التناقضات والآفات الإجتماعية والثقافية. فهو يتكلم عن الفساد

السياسى والدينى الذى شاع فى مصر كما يتكلم عن الفساد الأخلاقى الذى عمم شيكاجو برمتها على أساس ما سماه *لوكاتش* فى نظرية بانتصار الواقعية ولكنه مع هذا ما استطاع أن يضع عقائده الفردية وايدئولوجيته جانبا، الأمر الذى ابتعده بعض الأبتعاد عن انتصار الواقعية حسب نظرية *لوكاتش*.

٢. *الأسوانى* ما بقى مكتوف الأيدى أمام هذه الأحداث، بل كلما يتكلم عن آفة اجتماعية فى الرواية يحاول أن ينقدها ويجعلها فى بوتقة نقده آملا الوصول إلى حلّه وجعل المجتمع فى مسير أفضل مما يكون فيه. الأمر الذى يسميه *لوكاتش* بالواقعية النقدية، ولكن *الأسوانى* ينظر إلى الأحداث فى المجتمعين الأمريكى والمصرى من منظور ايدئولوجيته القاتم الذى يميل إلى رؤية السلبيات وتجنب من الإيجابيات أكثر مما ينظر إليه من منظار ناقد هدفه الإصلاح نحو الأفضل. فالنظرة القاتمة المسيطرة على الرواية يأتى من هذا الجانب. فهو من جهة يعرفنا على المجتمع الأمريكى بأنه مجتمع عنصرى لا يقيم للإنسانية والعلاقات العائلية وزناً ومن جهة أخرى نرى كثيرا من الشخصيات المصرية فى الرواية ومع أنهم من المثقفين المصريين والعباقرة الجامعيين أو الساسة الحكومية نراهم ويأملون أن يأخذوا الفيزا الأمريكية كي يعيشوا فى أمريكا ويتوصلون إلى كل ما بوسعهم فى هذا السبيل. فكيف يمكننا أن نعدل هذا التناقض أو نبرره فى الرواية؟

٣. فى النهاية وفيما يرتبط بالسمة الثالثة يعنى شعبية الأدب، فيمكننا القول بأن كل ما نراه فى هذه الرواية من الآراء والنظريات والنقد الذى أتى به *الأسوانى* والشخصيات التى طرحها الكاتب، كل هذا فى صلة وثيقة بالشعب المصرى والأمريكى وبما يجرى فيهم ولهم. فهذه الرواية كمرآة تعكس ما يجرى فى المجتمع ولكن من منظار *الأسوانى* فى بعض الأحيان لا مما يجرى على أرضية الواقع والحقيقة؛ كما أن شخصيات الرواية كلها تعد رمزا لطبقة خاصة من المجتمع، فعلى هذا يمكننا أن نسمى الرواية، رواية يجدر أن ينظر إليه على أساس الشعبية فى نظرية *لوكاتش* فى النقد الإجتماعى مع أن *الأسوانى* ما يراعى سمات الشعبية على حد نظرية *لوكاتش* فيها.

٤. فيما يرتبط بجماليات النص والرواية يمكننا أن نقول بأن *الأسوانى* استطاع أن يأتى برواية ناجحة فى هذا الصدد، فرعى الكاتب فى عناصر الرواية من المكان والزمان والشخصيات و... جماليات النص كما أتى بأسلوب جميل بعيد عن التكلف أو الحوشية فى

كتابته. فمع أن الأسواني استطاع أن يأتي برواية اجتماعية يجدر البحث عنها ودراستها على أساس الواقعية حسب نظرية لوكاتش الاجتماعية، ولكن لا يمكن أن نسميه رواية منطبقة تماما على الواقعية في نظرية لوكاتش الواقعية.



## المراجع والمصادر

- أبوشقراء، محي الدين. لا تا، مدخل إلى سوسولوجيا الأدب العربي، الطبعة الأولى، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- اسكاربيت، روبير. ١٩٩٩م، سوسولوجيا الأدب، تعريب: آمال أنطوان عرموني، الطبعة الثالثة، بيروت- لبنان: عويدات للنشر والطباعة.
- الأسواني، علاء. ٢٠٠٧م، شيكاغو، الطبعة الأولى، مصر- القاهرة: دار الشروق.
- أمين، جلال. ٢٠١١م، مصر والمصريون في عهد مبارك ٢٠١١-١٩٨١، مصر: دار الشروق.
- عسگری، عسگر. ١٣٨٦ش، نقد اجتماعي رمان معاصر فارسي، چاپ دوم، تهران: فروزان.
- فضل، صلاح. ١٤١٧ق، مناهج النقد المعاصر، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الأفق العربي.
- لوكاتش، جورج. ١٩٨٥م، دراسات في الواقعية، ترجمة: نايف بلوز، الطبعة الثالثة، بيروت: المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع.
- لوکاج، جورج. ١٣٧٣ش، پژوهشی در رئالیسم اروپایی، ترجمه اکبر افسری، تهران: اندیشه‌های عصر حاضر.
- الماضي، شكري عزيز. ١٩٨٦م، في نظرية الأدب، الطبعة الأولى، بيروت: دار الحدائث.
- نجيب محمود، زكي. ١٩٦٧م، كتاب أرسطوطاليس في الشعر، تحقيق: الدكتور شكري عياد، القاهرة: دار الكتب العربي.
- هويدي، صالح. ١٤٢٦ق، النقد الأدبي الحديث، قضاياه ومناهجه، الطبعة الأولى، ليبيا: منشورات جامعة السابع من أبريل.

## المقالات

- أفضلي، زهرا و صلاح الدين عبدی و میترا خدادادیان. ١٣٩٥ش، «نقد رمان عمارت یعقوبیان اثر علاء الأسواني»، دوفصلنامه علمی پژوهشی نقد ادب معاصر عربي، سال ششم، ش ١٢، صص ٨٠-٥٧.
- علائی، مشیت. ١٣٨٠ش، «نقد ادبی و جامعه شناسی»، کتاب ماه ادبیات و فلسفه، شماره ١٠ و ١١، سال چهارم، صص ٣٣-٢٠.
- منتظری، آزاده و محمد خاقانی و منصوره زرکوب. ١٣٩١ش، «النقد الاجتماعي للأدب، نشأته وتطوره»، فصلية إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، السنة الثانية، العدد السادس، صيف ١٣٩١ش/ حزيران ٢٠١٢م. صص ١٥١-١٧٢.
- مهرگان کوثری، مسعود. ١٣٧٩ش، «جامعه شناسی گونه‌های ادبی»، نشریه علوم اجتماعی، دانشگاه علامه طباطبائی، شماره ١٠، صص ١٣٨-١٠٩.



## المواقع الإلكترونية

علاء الأسواني <https://m.marefa.org>

تاريخ مصر تحت حكم مبارك [www. Ar.m.wikipedia.org](http://www.Ar.m.wikipedia.org)

## Bibliography

### Arabic Books

- Al-Aswani, Alaa (2007) Chicago, 1st Edition, Egypt, Cairo: Dar Al-Shorouk.
- Abu-Shaqra, Mohieddin (undated) Introduction to Sociology of Arabic Literature, 1st ed., Beirut: Arab Cultural Center.
- Escarbett, Robert (1999) The Sociology of Literature, Arabization: Amal Antoine Aramouni, Third Edition, Beirut, Lebanon: Oweidat for Publishing and Printing.
- Amin, Galal (2011) Egypt and the Egyptians in the Mubarak era 2011- 1981, Egypt: Dar Al-Shorouk.
- Fadl, Salah (1417 BC) Methods of contemporary criticism, the first edition, Cairo: Dar Arab Horizons.
- Lukacs, George (1985) Studies in Realism, Translated by: Naif Blues, Third Edition, Beirut: The Public Institution for Studies, Publishing and Distribution.
- Al-Madi, Shukri Aziz (1986) in Literary Theory, 1st ed., Beirut: Dar Al-Hadatha.
- Naguib Mahmoud, Zaki (1967), Aristotle's Book of Poetry, edited by Dr. Shukri Ayyad. Cairo: Arabic Book House.
- Huwaidi, Saleh (1426) Modern Literary Criticism, Issues and Methods, 1st ed. Libya: Seventh University Publications from April.

### Persian books

- Asgari, Asgar (2007) Social Criticism of Contemporary Persian Novel, Second Edition, Tehran: Forouzan.
- Lukács, George (1994) Research in European Realism. Translated by: Akbar Afsari, Tehran: Contemporary Thoughts Publications.

### Magazines

- Afzali, Zahra and Abdi, Salaheddin and Khodadadian, Mitra (1395) A Novel Critique of the Emaarat of Yaghoubian by Ala al-Aswani, Quarterly Journal of Contemporary Arabic Literature Criticism, Volume Six, Twelve Pounds, pp. 57-80.
- Ala'i, Mashiyat (1380) Literary Criticism and Sociology, month Book of Literature and Philosophy, No. 10 and 11, Fourth Year, pp. 20-33.
- Montazeri, Azadeh and Khagani, Mohammad and Zarkoub, Mansoura (1391) Social Criticism of Literature, its Development and Evolution, Critical Illuminations Quarterly, Second Year, Issue 6, Summer 1391 st, June 2012. Pp. 151—172.
- Mehregan Kosari, Masood (1379) Sociology of Literary Species, Journal of Social Sciences, Allameh Tabataba'i University. No. 10, pp. 109 - 138.



پښتونستان ښار، پښتونستان  
پښتونستان ښار، پښتونستان



پروپشگاه علوم انسانی ومطالعات فرہنگی  
پرتال جامع علوم انسانی